

نزار قباني



قالت لي السمراء

نوفل

نزار قباني

قالت لي
السَّمرَاءُ



جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2015 عن نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، 2015

سنّ الفيل، حرج ثابت، بناية فورست

ص. ب. 11-0656، رياض الصلح، 1107 2050 بيروت، لبنان

info@hachette-antoine.com

www.hachette-antoine.com

facebook.com/HachetteAntoine twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف والداخل: بسكال زغبى

اقتباس التصميم: ماري تريز مرعب

متابعة النشر: نجلا رعيدي شاهين

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 3-890-26-9953-978

ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 7-465-438-614-978

قلبي، كَمَنْقَصَة الرماد، أنا
إن تنبُشي ما فيه، تَحْتَرِقي
شِعْري أنا قلبي... ويظْلُمُني
مَنْ لا يرى قلبي على الورق...

نزار

مقدمة

الطبعة الأولى الصادرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤
بقلم الدكتور منير العجلاني

... لا تقرأ هذا الديوان، فما كُتِبَ ليُقرأ... ولكنه كُتِبَ ليُغنى... ويُسَمَّ... ويَصَمَّ...
وتجد فيه النفس دنيا ملهمة.

ديوانٌ صغيرٌ صغير... مثل حبيبنا "حسن" الذي لَخَّصَ ده موسى قُتُوته بهذه
الكلمات: "خلقه الله صغيراً ليأتي أَمَلَحَ وأَجَمَلَ وأنفَذَ سَحَرًا."

يا نزار!

لم تُولَدْ في مدرسة المتنبي، فما أجَدُك تُعنى بشيء من الرثاء والمديح
والحكمة، وما أجَدُك تُعنى بالبيت الواحد من القصيدة يُضَرَّبُ مَثَلًا، وما أجَدُك
بعد هذا تُعنى بالأساليب التي أَلْفَها شعراؤنا وأدباؤنا وإِنَّمَا أنت "شيء جديد"
في عالمنا و"مخلوق غريب".

وكأَنِّي أجد في طبيعتك الشاعرة روائح بودليير وفيرلين وألبير سامان وغيرهم
من أصحاب الشعر الرمزي والشعر النقي.

وقد تُوهم بعضُ أبياتٍ لك ذكرتَ فيها المخمل، والطراوات، ووشوشة النايات،
وارتعاش الربابات، أَتُكُّ تأثرتَ بشعر الشعراء اللبنانيين المحدثين. فما أريد أن
أبرِّئك من التأثير بأدبهم، ولا ضيرَ عليكَ منه، فالإنسان يتأثر برفاقه في
المدرسة، يأخذ ويعطي، ولكنه إذا كان موهوبًا طبع كلُّ شيء بطابعه، وربما
ارتفع فوق رفاقه وفوق أساتذته درجات... ومن يدري لعلَّ القدر يخبئ لنا فيك
شاعرًا عالميًا تسبحُ أشعاره من بلدٍ إلى بلد وتمرُّ من أمةٍ إلى أمة: كمُرور
العطور مُبْتَلَّةَ الريش

على كلِّ مُنَحْنَى ومَضِيقٍ...
كقَطِيعٍ من المواويل حَطَّتْ
في دُرَى موطني الأنيق... الأنيق...
حُرْمَةً من تَوَجُّع الرِّصْد... رَفُّ
من سُتُونٍ... يَهْمٌ بالتحليق...
أمل!.. ولكِنَّ أَمَلَ رَكَزَتْه في نفسي قصيدتك "اندفاع". فما أَظُنُّ أَنَّ شاعراً
أوروبياً كبيراً يكره أن تُنسَبَ هذه القصيدة إليه.
لم تعجبني "اندفاع" لكلماتٍ حلوة أخرجها الشاعر من أعماق القواميس كما
تُستخرج اللاكئ من أعماق البحار، أو لمعانٍ أبكارٍ لم يُسبق إليها. أعجبتني
لأنّها قطعة من الموسيقى نقلتني إلى عالم ملهمٍ، وبعثت في نفسي خيالاً
وحسّاً يتجدّد ولا يغيب.
لا تعينني تفاصيلُ هذه القصيدة – وهي حَسَنَةٌ في جملتها وفي تفاصيلها –
ولكنّ الذي يعينني منها هو أنّها استطاعت أن تنقلني من بلادِ الاستعارات
والتشابه وألاعيب البلاغة... إلى حُلْمٍ رفيعٍ أعوم في "سائله المُخْمَلِي" أتذوّق
فيه ذوقَ الشاعر، وأتخيّل أحيَلته، وكأنّه ألقى إليّ قلبه في أعنف ساعات
الوحي.

•

وبَعْدُ... سألني صاحبُ هذا الديوان أن أكتب له مقدمة، ولو ملكْتُ الخيار لقلْتُ
له: ديوائكَ كلّهُ مقدمة... إلى كلِّ نَفْسٍ تُحسُّ وتَشْعُر...
أمّا "وَرَقَّةٌ إلى القارئ" فتكاد تكون (برنامجاً شعريّاً) أو (بياتاً عاطفيّاً) لخصّ
فيه الشاعر نزعاته وأسباليه بما يغني عن كلّ توطئة. فهو رمزيّ، غريزيّ،
عفويّ. وهذه الكلمات كلّها تحتاج إلى شيء من التذييل.

١ – شاعرنا رمزيّ لأنّه هو نفسه يقول:

تَخَيَّلْتُ حَتَّى جَعَلْتُ العَطَوْرَ

ثرى... ويشمُّ اهتزازُ الصدى

ولكنّه لم يأخذ من الرمزية إلّا بمقدار. تبرّأ من غموضها، وجارها أو شابهها
غير متعمّد في عنايته بموسيقى الألفاظ منفردة ومجمعة.

أذكرُ أنّي كتبتُ في معرض الكلام عن الشعر أنّ الرمزيين يُعنون كثيرًا
بموسيقى اللفظ، فإذا أرادوا مثلاً أن يصفوا في بيتين وثبةً أسدٍ على حيوان
ضعيف ليفترسه، جاء البيت الأوّل ضخم مخارج الألفاظ، والثاني رقيقاً ناعماً
كندى الصباح، فكأنّ البيت الأوّل جلمود صخر انحطّ من علٍ ليهشّم البيت
الثاني ويفترسه.

ولعلّ من خير الأبيات في الدلالة على قوّة الناحية الموسيقيّة عند الشاعر هذا
البيت: فلولا... ما انفتحتُ وردةً

ولا فقعَ الثديّ أو عربداً

فكلمتا "فقع" و"عربد" تشبهان بجرسهما أمواج التيّار الصّخّابة وثريّانك – ولو
كنت تجهل اللسان العربيّ – تكوّر الثدي وحركته...

٢ – شاعرنا غريزيّ أو هو على الأقلّ يدّعي ذلك. ألم يقل لنا: بأعراقِي
الحُمُر... إمراًه...

تسير معي في مطاوي الرّدا

تفحّ... وتنفحّ... في أعظمي

فتجعل من رثتي موقداً...

هو الجنسُ أحمل في جوهرِي

هيولاهُ، من شاطئ المبتدا

بتركيب جسمي "جوعٌ" يحنُّ

لآخر... جوعٌ يمدُّ اليدا...

وإنّك لتجده يصف الشهوة في غير قصيدة واحدة وصفاً لا يخلو من القوّة: عبّنا
جهودك بي الغريزة مطفأه

إني شبعْتُكِ جيفةً متقيئةً...

مهما كتمتِ... ففي عيونك رغبةٌ

تدعو، وفي شفتيك تحترقُ امرأةٌ...

أنا لا تحركني العجائزُ... فارجعي

لكِ أربعونَ... وأيُّ ذكرى سيئةٌ...

ولكنّه لم يستطعُ أن ينزل مع الشهوانيِّين إلى قرارة الجحيم الذي يسكنونه. فحسبنا وحسبه المدى الذي بلغه. ولعلَّ الأتقياء يجدون سبيلاً إلى الطعن، وإن يكن أحاط نفسه في كلِّ قصيدة بطلاسم يستنكر فيها الإثم، ولكنّه في الواقع إنّما يستنكر الجريمة، كزواج فتاة من شيخ مثلاً، لأنّه إنّما ينظر إليها بعيون الفنّ لا بعيون الفضيلة. وهذا دليل آخر على شاعريّته.

على أنّ شاعرنا إن لم يكن مُنحلاً في الشهوة، فقد وُفق في وصف الجمال، والحبُّ البكرُ توفيقاً بعيداً، حتّى لتكاد تشعر وأنت تنشد بعض قصائده أنّك في عرس من أعراس الآلهة، وأنّها تتخاطب بلسانه.

أمّا جمال حسنائه فقد صنع له صورة لا تختلف عن صورة الرسّام إلّا بأنّها تتكلّم... وإلّا بأنّها شاعرة وعاشقة: قميصُكِ الأخضرُ... من يا تُرى

باعكِ هذا اللونَ، قولي... اصدقي

أمينُ ضفاف "السين" خيطائهُ

واللونُ... من "دانوبه الأزرق"

أم من صغير العشب لملمته...

في سلّة بيضاء من زنبق...

أو هذه الأغنية في شقرائه:

شقراء... يا قَرحةَ عشرينا

ونكهة الزق... وهزج القراش

نمشي... فيندى العشب من تحتنا

وفوقنا للياسمين اعتراشٌ...

ونشربُ الليلَ صدى "مَيَّجَتَا"

وصوتَ فلاح... وعَوْدَ مَواشٍ

يا لهذه الصورة... ما أحلاها... وما أنداهَا... وما أحيّاها... ألا ترى من خلالها فتنة
العيون الخضر... وتشرب مناواة العاشقين كما يشربان هما صوت "المَيَّجَتَا"...

٣ - نزار عفوِيّ. يريد بذلك أنّه لا يتكلّف صناعة الشعر تكلّفًا، ولا يكتب ليلقن
أستاذ في مدرسة صغار التلاميذ أشعاره: عَزَفْتُ... ولم أطلب النجم بيتًا

ولا كان حلمي أن أخلدًا...

إذا قيل عني "أحسُّ" كفاني

ولا أطلبُ "الشاعر الجيّد"...

شعرتُ "بشيءٍ" فكوّنتُ "شيئًا"

بعفوِيّةٍ دون أن أقصدًا...

ولعلّ نزارًا بعد هذا، لا يعتذر عن عفوِيّته، فالشاعر كما يقول "فرنسيس
جامس" طفل، وإذا لم يكن طفلًا، ساذجًا، بريئًا يتكلّم من قلبه بطل أن يكون
شاعرًا عظيمًا.

أمّا أسلوب نزار، من ناحية اللغة، فقد نستطيع أن نسَمِّيه "السهل الممتنع".
وربّما استعمل تراكيب عاميّة، ولكن هذا قليل جدًّا. والألفاظ العاميّة التي
اختارها فيها قوّة وإغراء. ولولا هذه القوّة في كلمات الشعب ما استعارها
شاعر كشكسبير مثلاً.

وبعدُ... وبعدُ... ماذا أذكر من قصائد هذا الديوان وماذا أدع؟... لو سئلتُ عن
محاسنها لأجبتُ كما أجاب بودلير شيطانه: "إنّها تُشبه تَغَنّة الماء، لا يفضّل
بعضّها على بعض، تنفثُ السحر كالفجر، وتُغدقُ السلوى كالليل، تَقَسُّها
يتصاعدُ موسيقى، وصوتُها يَصُوعُ طيبًا..."

نزار!

لا أسألك... لا أسألُ الله إلا شيئًا واحدًا... أن تبقى كما أنت، طفلًا يصوّر...
ويغني... ويعشق...

كأنه ملاكٌ يمشي على الأرض ويعيش في المساء...
لا نطلب "الشاعر الخالد".

فإنّ "الشاعر الخالد" الذي يعيش في الجامعات العلميّة والمكتبات الأثريّة...
يجرّ وراءه في الطريق الصحراء القاحلة... وعفوة جماعية من أغبياء
المعلمين...

أما أنت... فأنتك تمرّ مرورَ الموكب الملكي... أو الملائكيّ: مرّرت... أم تَوّأ مرّ
هنا

لولاك وجهُ الأرض لم يُعشِبِ
تمهّلي في السير... هل رغبة
ظلّك بصدر الدرب... لم ترغبِ...
شارعنا... أنكر تاريخه...
والتفّ بالعقد... وبالجوربِ
أدُرّعنا... أدُرّعُ أشواقنا
تهتفُ بالذهاب: لا تذهبِ...
دوسي... فمنْ خطوك قد زرّر
الرصيفُ... يا للموسم الطيّبِ...
يا للموسم الطيّب!

ما أجدُ أحلى من هذه الكلمة في تحية ديوانك.

أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

منير العجلاني

ورقة إلى القارئ

كَمَيْسِ الْهَوَاجِ.. شَرْقِيَّةً
تَرُشُّ عَلَى الشَّمْسِ حُلُوَ الْجَدَا

كَدْئَدَنَةِ الْبَدْوِ فَوْقَ سَرِيرٍ
مِنَ الرَّمْلِ، يَنْشَفُ فِيهِ الْيَدَا

وَمِثْلَ بُكَاءِ الْمَآذِنِ، سَرْتُ
إِلَى اللَّهِ أَجْرُ صَحْوِ الْمَدَى

أَعْبَيْتُ جِيبي نَجُومًا.. وَأَبْنِي
عَلَى مَقْعَدِ الشَّمْسِ لِي مَقْعَدَا

وَيَبْكِي الْغُرُوبُ عَلَى شُرْفَتِي
وَيَبْكِي.. لِأَمْنَحَهُ مَوْعِدَا

شَرَاغُ أَنَا لَا يَطِيقُ الْوَصُولُ
صَيَاغُ أَنَا لَا يَرِيدُ الْهَدَى

حُرُوفِي، جُمُوعُ السُّنُونُو، تَمُدُّ
عَلَى الصَّحْوِ، مَعْطَقَهَا الْأَسْوَدَا

أَنَا الْحَرْفُ.. أَعْصَابُهُ. نَبْضُهُ
تَمَرُّقُهُ قَبْلَ أَنْ يُوَلِّدَا..

أَنَا لِبِلَادِي.. لَتَجْمَاتِهَا
لَعَيْمَاتِهَا.. لِلشِّذَا.. لِلتَّدَى

سفحتُ قواريرَ لوني نُهورًا
على وطني الأخضر المُفتدى

وننفتُ في الجو ريشي، صُعودًا
ومن شرف الفكر أن يصعدا

تخيّلْتُ.. حتّى جعلتُ العطورَ
ثرى.. ويُشَمُّ اهتزازُ الصدى

بأعراقي الحُمريّ.. إمراةً
تسيرُ معي في مطاوي الردا

تفحُّ.. وتنفحُ في أعظمي
فتجعلَ من رثتي موقدا

هو الجنسُ أحملُ في جوهري
هَيُولاهُ من شاطئ المبتدا

بتركيب جسميَ جوعُ يحنُّ
لآخر.. جوعُ يمدُّ اليدا

أحسب أنّك غيري؟ ضللتَ
فإنّ لنا العنصرَ الأوحدا

جمالُكَ منّي.. فلولاي لم تكُ
شيئًا.. ولولاي لن تُوجدَا

ولولايَ ما انفتحتُ وردةً

ولا فَقَعَ الثديُّ أو عريدا

صنعتُكَ من أضلعي لا تكنُ

جحدًا لصُنْعي ولا مُلْحدًا

أضاعَكَ قلبي، ولما وجدْتُكَ

يومًا بدربي.. وجدْتُ الهدى

عزفتُ، ولم أطلبِ النجمَ بيثًا

ولا كان حُلُمِي أن أخلُدا

إذا قيلَ عَنِّي "أحسُّ" كفاني

ولا أطلبُ "الشاعرَ الجيِّدا"

شعرتُ "بشيءٍ" فكوَّنتُ "شيئًا"

بعفويةٍ، دون أن أقصدا

فيا قارئِي.. يا رفيقَ الطريقِ

أنا الشفتانِ.. وأنتَ الصدى

سألتُكَ بالله.. كُنْ ناعماً

إذا ما ضممتَ حروفي غدا..

تذكَّرْ.. وأنتَ تمرُّ عليها

عذابَ الحرُوفِ.. لكي تُوجدا..

سأرتاحُ.. لم يكُ معنى وجودي
فُضولاً.. ولا كان عمري سُدى

فما ماتَ مَنْ في الزمان
أحبَّ.. ولا ماتَ مَنْ غَرَّدا

مذعورة الفُستان

مَذْعُورَةُ الْفُسْتَانِ.. لَا تَهْزُبِي
لِي رَأْيِي فَنَّا.. وَعَيْنَا نَبِي

شَارَعْنَا أَنْكَرَ تَارِيخَهُ
وَالْتَفَّ بِالْعُقْدِ.. وَبِالْجُورِ

وَالْتَهَمَ الْخَيْطَ.. وَمَا تَحْتَهُ
وَأَتَعَبَ الْخَصَرَ.. وَلَمْ يَتَعَبِ

وَاقْتَحَمَ النَّهْدَ.. وَأَسْوَارَهُ
وَلَمْ يُعْذُ مِنْ ذَلِكَ الْكُوكِبِ

شَارَعْنَا يَمْشِي عَلَى شَوْقِهِ
يَمْشِي عَلَى جَرَحِ هَوَى مُرْعَبٍ

يَمْشِي بِلَا وَعِيٍّ وَلَا غَايَةٍ
مِثْلَكَ، يَا مَبْهَمَةَ الْمَطْلَبِ

حَرَّكَتِ بِالْإِيْقَاعِ أَحْجَارَهُ
فَانْدَفَعَتْ فِي عُرَّةِ الْمُوكِبِ

قُدَيْتِ يَا سَاحِبَةً خَلْفَهَا
شَيْئًا مِنَ اللَّيْلِ.. مِنَ الْمَغْرِبِ

أَهْذِهِ أَنْتِ؟ صَبَاحِي رِضَا
أَعْمَارُنَا قَبْلَكَ لَمْ تُكْتَبِ

تمهّلي في السير.. هل رغبةٌ
ظَلَّتْ بصدر الدرب لم ترغبِ؟

هل حجرٌ - إذْ لُحِتْ - لم يلتفتْ
لم ينسجمْ. لم يَبِكْ. لم يطربِ

تسلسلي، مفتاحَ رصْدٍ، ثبي
فراشةً بيضاء، في ملعبِي

مخضرةً الخطوة.. لا تُجفلي
هل تغضبُ الوردة.. كي تغضبي؟

مشى بكِ المقهى.. مشى حيناً
خلفَ حفيف المئزرِ المطربِ

نحنُ افتكاكُ الجرح في نفسهِ
حُلْمُ طيورِ البحرِ بالمركبِ

أذرعُنا، أذرعُ أشواقنا
تهتفُ بالذهاب.. لا تذهبِ

نحنُ! دعي نحنُ.. أيا واحدةً
يحلمُ فيها كلُّ مسترطبٍ..

مررتِ.. أم نَوَّارَ مرَّ هُنا؟
لولاكِ وجهُ الأرض لم يُعشِبِ

دُوسي. فمن حَطُوكِ قد زَرَّر
الرَّصيفُ. يا للموسمِ الطَّيِّبِ..

مُكَابَرَة

ثُراني أَحَبُّكَ؟ لا أعلمُ
سؤالٌ يحيط به المُبْهَمُ

وإن كان حُبِّي افتراضًا. لماذا؟
إذا لَحَتِ طاشَ برأسي الدُمُ

وحار الجوابُ بحنجرتي
وجفَّ النداءُ.. ومات الفمُ

وفرَّ وراءَ ردائكِ قلبي
ليلثمَ منكِ الذي يُلثمُ

ثُراني أَحَبُّكَ؟ لا. لا. محالُ
أنا لا أُحِبُّ ولا أُغرمُ

وفي الليل. تبكي الوسادةُ تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجُمُ

وأسألُ قلبي. أتعرفُها؟
فيضحكُ مني ولا أفهمُ

ثُراني أَحَبُّكَ؟ لا. لا. محالُ
أنا لا أُحِبُّ ولا أُغرمُ

وإن كنتُ لستُ أُحِبُّ، تراهُ
لمن كلُّ هذا الذي أنظمُ؟

وتلك القصائد أشدو بها
أما خلفها امرأةٌ تُلهِمُ؟

ثُراني أُحِبُّكِ؟ لا. لا. محالٌ
أنا لا أُحِبُّ ولا أُغرمُ

إلى أن يضيقَ فؤادي بسرِّي
ألحُّ. وأرجو. وأستفهمُ

فيهمسُ لي: أنتَ تعبدُها
لماذا تكابرُ.. أو تكتُمُ؟

المَوْعِدُ الأوَّلُ

ويمنحني ثغرُها موعدًا
فيخضُرُّ في شفتيها الصَدَى

وأمضي إليها.. أنا شَهَقَاتُ القُلُوعِ
تغازلُ لونَ المَدَى..

وأيْنَ القَرَارُ؟ سبقتُ الزمانَ
سبقتُ المكانَ. سبقتُ غدا

أخوضُ في الصبحِ.. ملءَ طريقي
أريحُ.. وملءَ قميصي نَدَى

يدي في ذراعكِ. أينَ الصَّيَاغُ
تخافينه؟ نحنُ نهدي الهُدَى
أحبُّكِ. فوقَ التَّصَوُّرِ.. فوقَ
المسافات. فوقَ حكايا العِدا

جرحتُ الأزاميلَ فيكِ. حملتُ
إلى شَعْرِكَ القمرَ الأسودا..

وشجَّعتُ نهديكِ.. فاستكبرا
على الله. حتَّى.. فلم يسجُدَا

أُكْتُبِي لِي

إِلَيَّ اكْتُبِي مَا شِئْتِ.. إِنِّي أَحِبُّهُ
وَأَتْلُوهُ شَعْرًا.. ذَلِكَ الْأَدَبَ الْخُلُوعَا

وَتَمْتَصُّ أَهْدَابِي انْحِنَاءَاتِ رِيَشَةٍ
نَسَائِيَّةِ الرِّعَاشَاتِ.. نَاعِمَةِ النُّجُوعَا

عَلَيَّ اقْضُصِي أَنْبَاءَ نَفْسِكَ.. وَابْعَثِي
بِشُكُوكِ.. مَنْ مِثْلِي يَشَارِكُ الشُّكُوعَا؟

لَتُفْرِحَنِي تِلْكَ الْوَرِيقَاتُ حُبَّرَتْ
كَمَا تُفْرِحُ الطِّفْلَ الْأَلْعِيبُ وَالْحُلُوعَا

وَمَا كَانَ يَأْتِي الصَّبْرُ.. لَوْلَا صَحَائِفُ
تُسَلِّمُ لِي سِرًّا.. فَتَلْهَمُنِي السُّلُوعَا

أَجِزِّي إِلَى الْخَطِّ الْمَلِيسِ.. وَرَقْعَةٍ
تَطَايَرُ كَالنَّجْمَاتِ أَحْرَفُهَا النُّشُوعَا

أَحْسُنِي مَا بَيْنَ السُّطُورِ ضُحُوكَةً
تَحْدِثُنِي عَيْنَاكِ فِي رُقَّةٍ قُصُوعَا

تَغْلَغَلْتِ فِي بَالِ الْحُرُوفِ مِشَاتَلًا
وَصَوْتًا حَرِيرِيَّ الصَّدَى، وَادْعَا، خُلُوعَا

رِسَائِلِكَ الْخَضْرَاءُ.. تَحْيَا بِمَكْتُبِي
مَسَاكِبَ وَرْدٍ تَنْشُرُ الْخَيْرَ وَالصُّحُوعَا

زرعتِ جواريري شدًا وبراعمًا
وأجريتِ في أخشابها الماءَ والسَّروا..

إليَّ اكتبِي إمَّا وُجدتِ وحيدةً
تدغدغُك الأحلام في ذلكَ المأوى

ومررتِ على لين الوسادة صورتي
تخصبها دمعا.. وتغرقُها شجوا

وما بكِ ترتابين؟ هل من غضاضةٍ
إذا كتبتِ أختُ الهوى للذي تهوى؟

ثقي بالشذا يجري بشعركِ أنهرًا
رسائلِك النعماء في أضلعي تُطوى

فلسْتُ أنا مَنْ يستغلُّ صبيَّةً
ليجعلها في الناس أقصوصةً تُروى

فما زال عندي - رَغَمَ كُلِّ سوابقي - بقيَّةُ أخلاقٍ.. وشيءٌ من التقوى

أمام قصرها

متى تجيئين؟ قولي

لموعد مستحيل

يعيشُ في الظنّ.. فوق

الوقوع.. فوق الحُصولِ

وأنتِ. لا شيءَ إلَّا

وعدُّ ببالِ الحقولِ

وأنتِ خيطُ سرابٍ

يموتُ قبل الوُصولِ

ظلُّ التصاميمِ تمشي

في جبهة الإزميلِ..

أنا على الباب.. أرجو

انزياحِ سُرِّ صقيلِ

يلهو الشتاءُ بشَّعري

ومعطفي المبلولِ

أشقى. وأنتِ استليني

ريشَ الوسادِ النبيلِ

طيفُ تَلَجٍّ.. خلفَ

الزجاجِ. هيّا افتحي لي..

مَنْ أَنْتَ؟ وارتاعَ نهْدُ
طفْلٌ.. كثيرُ الفضولِ

مَنْ أَنْتَ؟ أوجعتَ حَتَّى
تَفْتَأَ القميصَ الكُسُولِ

أوجعتَ أكْداسَ لوزٍ
فُديتَ من مجهولٍ..

أنا بقايا البقايا
من عهدِ جَرِّ الدُّيولِ

أهْواكِ مُدُّ كُنْتَ صغرى
كصفحةِ الإنجيلِ

ومن زمانٍ.. زمانٍ
ومن طويلٍ.. طويلٍ

وكنْتُ أغمسُ وجهي
في شعركِ المجدُولِ

في شكلِ وجهك أقرأ
شكلَ الإلهِ الجميلِ..

متى؟ ورُدَّتْ صلاتي
مع انهماكِ السُّدُولِ

إِنْدِفاع

أريدُكَ..

أعرفُ أنَّي أريدُ المحالَّ

وأنتُ فوقَ ادِّعاءِ الخيالِ

وفوقَ الحِيارَةِ، فوقَ النوالِ

وأطيبُ ما في الطيِّوبِ

وأجملُ ما في الجَمالِ

•

أريدُكَ..

أعرفُ أنَّكَ، لا شيءَ غيرِ احتمالِ

وغيرِ افتراضِ

وغيرِ سؤالِ، ينادي سؤالُ

ووعِدِ ببالِ العناقيدِ

بالِ الدوالِ

أريدُكَ..

أعلمُ أنَّ النجومَ

أرومَ

ودونَ هوانا تقومَ

تخومَ

طوالُ. طوالُ
كلونِ المحالِ
كرجِعِ المواويلِ بينَ الجبالِ
ولكنْ على الرغْمِ ممّا هُوَ
وأسطورةِ الجاهِ والمستوى
أجوبُ عليكِ الذُّرى والتلالُ
وأفتُحْ عنكِ عيونَ الكُوى
وأمشي..
لعلِّي ذاتَ زوالِ
أراكِ، على شُقْرةِ الملتوى.

•

ويومَ تلوحينَ لي..
على لوحةِ المغربِ المُحملي
تباشيرَ شالٍ..
يجرُّ نجومًا
يجرُّ كرومًا
يجرُّ غلالَ
سأعرفُ أنّكِ أصبحتِ لي..
وأنتِ لمسْتُ حدودَ المحالِ

أنا محرومة

لا أُمُّهُ لانت.. ولا أُمِّي
وحبُّهُ ينامُ في عَظْمي

إنَّ خَبَّاتِ أُمِّي بصندوقها
شالي. فلي شالُ من العَيمِ

أو أوصدُوا الشُّبَّاكَ كي لا أرى
فتحتُ شُبَّاكًا من الوهمِ

ما أشفقَ الناسُ على حُبِّنا
وأشفقتُ مساندُ الكَرَمِ

أحبُّ عطرَ الجرح من أجله
فهل تراهم عطَّروا هَمِّي

أما بَدَّرْنَا الرِّصْدَ والمِيجَنَا
هناكَ في جنينة النجمِ..

قوافلُ الأقمار من رَسْمِهِ
وما تبَقَّى كُلُّهُ رَسْمِي..

وقَبَّلنا لا شالَ شالُ.. ولا
أدركَ خصرُ نعمة الضَّمِّ

من فضلنا، من بعض أفضالنا
أنا اخترعنا عالمَ الحُلُمِ..

في المقهى

في جوارِي اتَّخَذَتْ مَقْعَدَهَا
كوعاء الوردِ في اطمئنانِها

وكتابٌ صارُعٌ في يدها
يحصُدُ القُصْلَةَ من إيمانِها

يثبُّ الفنجَانُ من لهفتهِ
في يدي، شوقًا إلى فنجانِها

آه من قُبْعَةِ الشمسِ التي
يلهتُ الصيفُ على خيطانِها

جولهُ الضوءِ على رُكْبَتِها
زلزلتُ رُوحِي من أركانِها

هي من فنجانِها شاربَةٌ
وأنا أشربُ من أجفانِها

قصَّةُ العينين.. تستعبدُني
مَنْ رأى الأنجَمَ في طوفانِها

كلُّما حدَّقْتُ فيها ضحكْتُ
وتعرّى الثلجُ في أسنانِها

شاركيني قهوةَ الصبحِ.. ولا
تدفني نفسكِ في أشجانِها

إِنِّي جَارُكَ يَا سَيِّدَتِي
وَالرَّبِّي تَسْأَلُ عَنْ جِيرَانِهَا

مَنْ أَنَا.. خَلِّي السُّؤَالَاتِ أَنَا
لَوْحَةٌ تَبْحَثُ عَنْ أَلْوَانِهَا

مَوْعِدًا.. سَيِّدَتِي! وَابْتَسَمْتُ
وَأَشَارْتُ لِي إِلَى عُنْوَانِهَا..

وَتَطَلَّعْتُ فَلَمْ أَلْمَحْ سِوَى
طَبْعَةِ الْحُمْرَةِ فِي فَنَاجِيهَا

إِسْمُهَا

إِسْمُهَا فِي فَمِي.. بكَاءُ النَوَافِيرِ
رَحِيلُ الشِّذَا.. حَقُولُ الشَّقِيقِ

حُزْمَةٌ مِنْ تَوَجُّعِ الرَّصْدِ.. رَفٌّ
مِنْ سُنُونُو يَهُمُّ بِالتَّحْلِيقِ

كَنْهَوْرُ الْفَيْرُوزِ يَهْدِرُ فِي رُوحِي
وَيَنْسَابُ فِي شَعُورِي الْعَمِيقِ

كُلْهَاتِ الْكُرُومِ، كَالنَّشْوَةِ الشَّقَرَاءِ
غَامَتْ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ

كُمُورُ الْعَطُورِ مَبْتَلَّةُ الرِّيشِ
عَلَى كُلِّ مَنْحَنِي وَمَضِيقِ..

كَحْرِيرِ النَّهْدِ الْمُهْزِهْرِ.. فِيهِ
عَلَّقَ اللَّهُ قَطْرَةً مِنْ عَقِيقِ

كَقَطِيعٍ مِنَ الْمَوَاوِيلِ.. حَطَّتْ
فِي ذَرَى مَوْطِنِي الْأَنْيَقِ الْأَنْيَقِ

إِسْمُهَا.. رَكُصَةُ النَّبِيذِ بِأَعْصَابِي
وَزَحْفُ السَّرُورِ طَيَّ عُرُوقِي

شَفْتِي، كَالْمَزَارِعِ الْخُصْرِ، إِنْ مَرَّ
كَنْيَسَانِ، كَالرَّبِيعِ الْوَرِيقِ

أحرفُ خمسةٌ، كأوتار عودٍ

كترانيم معبدٍ إغريقي

أحرفُ خمسةٌ، أشفُ من الضوء

وأشهى من نكهة التطويقِ

إسمُكِ الخُلُوءُ.. أيُّ دنيا تناغيني

وتهدي إلى النبوغِ طريقي!

عُرِفَتْهَا

في الحجرة الزرقاء.. أحيا أنا
بعدك، يا أختي، أصلي الرياش

وأمسح المهد الذي لقنا
وفيه برعمنا الحرير افتراش

ليلات دَرَدَرنا تشاوبقتا
فساح بالأطياب منا الفراش

وثديك القلبي.. كوم سنا
يغمى على البياض منه القماش

شقراء.. لا أعدمها لثغة
يعيا بها ثغرك عند النقاش

شقراء.. هل أحيا على صورة
ومن على الألوان والظل عاش

منديلك الخمري.. أحيا به
ففيه من طيبك بعض الرشاش

وها هنا رسالة.. نثرك الغالي بها
أخفيه عن كل واش

أعز ما خلفت لي خصلة
حبيبة تهتر فوق الفراش

تظلل، إمّا جئتُ أَلْتُمُّهَا
تهفو إلى منبتها في ارتعاشٍ

شقراء.. يا فرحةَ عشريننا
ونكهةَ الزَّقِّ.. وهزَجَ القَرَّاشُ

شقراء.. يا يومًا على المنحنى
طاشَ به ثغري وثغركِ طاشَ

نمشي فيندى العشبُ من تحتنا
وفوقنا للياسمينِ اعتراشُ

ونشربُ الليلَ، صدى مَيِّجَنَا
وصوتَ فَلَاحٍ.. وعَوْدَ مَوَاشٍ

قولي.. ألا يغريكِ لونُ الدُّنَا
بالْعَوْدِ.. فالطيْرُ أتتْ للعِشَّاشِ

زيتية العينين

رَيْثِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ.. لَا تُغْلِقِي
يَسْلُمُ هَذَا الشَّقُّ الْفُسْتُقِي

رحلْنَا، في نصف فيروزِ
أغرقتِ الدنيا ولم تغرقِ

في أَبَدٍ. يبدأ ولا ينتهي
في أَلْفِ دُنْيَا، بعدُ، لم تُخْلَقِ

في جُزُرٍ تبحث عن نفسها
ومُطْلَقٍ يولدُ من مُطْلَقٍ

وتنتهي الدنيا ولا ينتهي
تشرُدي في غابة الفسْتُقِ

قميصُكِ الأخضرُ.. من يا تُرى
باعكِ هذا اللون.. قلبي. اصدُقي

أَمِنْ ضفاف (السيْن) خيطائهُ
واللون من دانوبه الأزرقِ

أَم من صغير العشبِ لملمتِه
في سَلَّةٍ بيضاءٍ من زنبقِ

بحيرةُ خضراءٍ في شطّها
نامتْ صبايا النور لم تتَّقِي

كَأَنَّمَا عَيْنُكَ وَسَطَ الضِّياءِ
صفصافُهُ تحت الضحى الزنبقي

عريشُهُ كسلى على سفحنا
عنقودُها بالشمس لم يُحَرِّقِ

شُبَّاكِي الصَّغِيرِ.. يُفْضِي إلى
فُسْقِيَّةٍ.. يُفْضِي إلى المشرقِ

إلى نوافيرِ رماديةٍ
تبكي بصوتِ أزرقٍ.. أزرقِ

يُفْضِي إلى لا حيث.. شُبَّاكُنَا
يُفْضِي إلى لا منتهى شَيِّقِ

من ألفِ عامٍ وأنا مبحرٌ
ولم أَصِلْ ولم يصلْ زورقي

أَمْضِي على زُمُرِّ دافىءٍ
يرهقني.. قُدَيْتَ يا مُرْهَقِي

وَشَوْشَةُ الْبَحْرَاتِ مَسْمُوعَةٌ
مِنْ خَلْفِ خَلْفِ الْهُدْبِ الْمَطْرِقِ

قَطْرَاتُ فيروزٍ على جبهتي
منكِ، على شعري، على مفريقي

يا مطرَ العينين.. لا تنقطع
أنا حينُ الطيبِ للدورقِ

لا تنقطعُ ثانيةً.. إنني
جوعُ الربى للأخضر المورقِ

يا مرفأَ الفيروز.. يا مُنْعَبًا
سفینتی. لا بدَّ أن تلتقي

حَبِيبَةُ وَشِتَاءِ

وكان الوعدُ أن تأتي شتاءً
لقد رحل الشتاء.. ومضى الربيعُ

وأقفرت الدروبُ، فلا حكايا
تطرزها ولا ثوبٌ بديعُ

ولا شالٌ يشيل على دُرانا
ولا حَبْرٌ.. ولا حَبْرٌ يشيعُ

وهاجر كلُّ عصفورٍ صديقٍ
ومات الطيبُ، وارتمت الجذوعُ

حبيبةً.. قد تقصَّى العامُ عنا
ولم يسعد بكِ الكوخُ الوديعُ

ففي بابي يُرى أيلولٌ يبكي
وفوق زجاج نافذتي دموعُ

ويسعلُ صدرُ موقدتي لهيبًا
فيسخنُ في شراييني النجيعُ

وتلتفتُ الستائر في حنينٍ
وتذهل لوحهً.. ويجوعُ جوعُ

أحبُّكِ.. في مراهةٍ.. الدوالي
وفيما يُضمِرُ الكرمُ الرضيعُ

وفي تشرينَ، في الحَطَبِ المغنّي
وفي الأوتار عذبها الهجوُ

وفي كَرَم الغمام في بلادي
وفي النجمات في وطني تضيّع

أُحِبُّكَ.. مقلّةً وصفاءَ عينٍ
إليها قبلُ، ما اهتدتِ القلوُ

أُحِبُّكَ.. لا يحُدُّ هوايَ حدُّ
ولا ادّعتِ الضمائرُ والضلوُ

أشُمُّ بفيكِ رائحةَ المراعي
ويلهتُ في ضفائركِ القطيعُ..

أقبلُ إذ أقبلُّه حقولًا
ويلثمّني على شفتيّ الربيعُ

أنا كالحقلِ منك.. فكلُّ عضوٍ
بجسمي، من هوائِ، شدًّا يצועُ

جهنّمي الصغيرة لا تخافي
فهل يُطفي جهنّمُ مستطيعُ؟

فلا تخشي الشتاء ولا قواه
ففي شفتيكِ يحترقُ الصقيعُ

مَسَاء

قَفِي كَسْتَنَائِيَّةَ الْخُصَلَاتِ..
مَعِي، فِي صَلَاةِ الْمَسَاءِ التَّائِبَةِ

تَرِ اللَّيْلَ يَرْصِفُ تَجْمَاتِهِ
عَلَى كَتِفِ الْقَرْيَةِ الرَّاهِبَةِ

وَيَرْسُمُ فَوْقَ قَرَامِيدِهَا
شَرِيطًا مِنَ الصُّورِ الْخَالِبَةِ

قَفِي وَانْظُرِي مَا أَحَبَّ دُرَانَا
وَأَسْخَى أَنَامِلِهَا الْوَاهِبَةِ

مَوَاوِيلُ تَلْمَسُ سَقْفَ بِلَادِي
وَتَرْسُو عَلَى الْأَنْجُمِ الْغَارِبَةِ

عَلَى كَرَزِ الْأَفْقِ قَامَ الْمَسَاءُ
يَعْلُقُ لَوْحَاتِهِ الشَّاحِبَةَ

وَتَشْرِينُ شَهْرُ مَوَاعِيدِنَا
يَلُوحُ بِالْدِيمِ السَّاكِبَةِ

بِيَادُرُ كَانَتْ مَعَ الصَّيْفِ مَلَأَى
تَنَادِي عَصَافِيرَهَا الْهَارِبَةِ

وَقَصَلَاتُ قَشٍ وَعَطُرٌ وَجِعُ
وَصَوْتُ سُنُوتٍ ذَاهِبَةٍ

شحوْبٌ.. شحوْبٌ على مَدِّ عيني
وشمسٌ كأمنيةٍ خائِبَةٌ

إطارٌ حزينٌ أُحِبُّكَ فيه
وفي الحَرْجِ يستنظرُ الحاطِبَةُ

وفي عَبَقِ الخبزِ في صَيِّعَتِي
وطَفْرَاتِ تُوْرَةٍ آيَبَةٌ

وفي جرسِ الدَّيْرِ يبكي.. ويبكي
وفي الشَّوْحِ، في نارهِ اللاهَبَةُ

وفي النهْدِ يعلِّك طوقَ الحريرِ
وفي نخوةِ الحَلْمَةِ الغاضِبَةُ

أُحِبُّكَ حَرْقًا ببالِ الدَّوَاةِ
ووعْدًا على الشَّفَةِ الكاذِبَةِ

وخصرًا يعيش بُعْمَى يَدِ
ويحلُمُ بالراحَةِ الغاضِبَةِ

وفي اللونِ.. في الصوتِ.. في كلِّ شَيْءٍ
وفي الله.. في دَمْعَةِ الرَاهِبَةِ

أُحِبُّكَ أَوْسَعَ من كلِّ دُنْيَا
وَمِنْ مُدَّعَى الرِيْشَةِ الكَاتِبَةِ

خاتَم الخُطبة

وَيَحْكُ! في إصبعكِ المخملي
حملتِ جثمانَ الهوى الأولِ

تهنئتي.. يا مَنْ طعنتِ الهوى
في الخلفِ.. في جانبه الأعزَلِ

قد تخجلُ اللبوةُ من صيدها
يومًا، فهل حاولتِ أن تخجلي

بائعتي بزائفاتِ الخُلَى
بخاتمٍ في طرفِ الأنْمَلِ

بوهجِ أطواقِ خرافيةٍ
وبالفراءِ، الباذخِ، الأهدَلِ

أعقُدْ ماسٍ وانتهى حُبُّنا؟
فلا أنا منكِ ولا أنتِ لي

وكلُّ ما قلنا. وما لم نُقلْ
وبَوْحُنا في جانبِ المنقلِ

تساقطتْ صرعى على خاتمٍ
كالليل، كاللعنة، كالمنجلِ

كيف تأمرتِ على حُبِّنا
وعامَهُ الأولَ لم يُكْمِلِ

جذلى.. وفي مآتم أشواقنا
جذلى.. ونعش الحُبِّ لم يُقَلِّ

والخاتم الزاهي خريفُ المنى
يرصدني كالقدرِ المنزِلِ

يخبرني أن زمانَ الشذا
راحَ وغاضتْ صَيْحَةُ البلبُلِ

بائعتي.. بائعةً نفسَها
ماذا تمنيتِ ولم أفعلِ؟

نصبتُ فوق النجم أرجوحتي
وبالدا رسمتُ مستقبلي

وبيئنا الموعودُ.. عمَّرتُهُ
من زَهْرَاتِ اللوزِ كي تنزلي

قلعتُ أهدابي.. وسوَّرتُهُ
وردًا على الشرقةِ والمدخلِ

أرقبُ أن تأتي كما يرقبُ
الراعي طلوعَ الأخضرِ المقبلِ

صدفتِ عني.. حينَ ألفتيني
تجارتي الفكرُ.. ولا مالَ لي

أبني بيوتي في السحابِ القصي
فيكتسي الصباحُ من مغزلي

جواهرُ تكْمُنُ في جبهتي
أثْمُنُ من لؤلؤكِ المُرسَلِ

سبيّةَ الدينارِ سيري إلى
شاريكِ بالنقودِ والمخملِ

لم أتصوّرُ أن يكونَ على
اليَدِ التي عبدُها.. مقتلي

سَمْفُونِيَّة
عَلَى الرَّصِيفِ

سيرى.. ففي ساقيلِ نهرِ أغاني
أطرى من الحجاز.. والأصبهاني

بكاءُ سمفونيّةٍ حلوةٍ..
يغزلها هناك قَوْسا كَمَانٍ..

أنا هنا متابعُ نعمةٍ
قادمةٍ من غابة البَيْلَسَانِ

أنا هُنا.. وفي يدي ثروةُ
عيناكِ.. والليلُ.. وصوتُ البيانِ

لا تقطعي الإيقاعَ.. لا تقطعي
ودمّري حولي حدودَ الثواني

وأبحري في جرح جرحي.. أنا
لشهوتي صوتٌ.. لجوعي يدانِ

اليوم أصبحنا على ضجّةٍ
قيلَ اختفتُ من حُرَجنا سروتانِ

قيلَ اختفتُ أطولُ صفصافةٍ
أطولُ ما في السفح من خيزرانِ

سارقةً أغنى حواكيرنا
سارقةً اللبابِ والأقحوانِ

مدينتي قد ضيّعتُ نفسَهَا
وهاجرتُ مع الحرير اليماني

وودّعتُ تاريخَ تاريخها
وضيّعتُ زماثها من زمانٍ

وداعبتُ نهذاً كالعوبةِ
تصيحُ إن دغدغها إصبعانِ

نهذاً لجوّجا فيه تيهُ الذرى
وما لدى ربّي من عنفوانٍ

مدينتي! لم يبقَ شيءٌ هُنا
لم ينتفضْ لم يرتعشْ من حنانٍ

سيري فإني لم أزل مُنصّتًا
لقصّةٍ تكتبها قُلّتانِ..

نحن انسجامٌ كاملٌ.. واصلي
عزفك. ما أروعَ صوتَ البيانِ.

إلى مُصطافَة

أأنتِ على المنحنى تقعدين؟
لها رثتي هذه القاعده..

مشاوير تمّور.. عادتْ وعُدنا
لننهب داليةً راقده..

لنسرق تينًا من الحقل فجًا
لننقف عصفورةً شارده

لأفرطَ حَبّاتِ ثُوتِ السياج
وأطعمَ حَلْمَتِكَ الناهده

لأغزلَ غيمَ بلادي شريطًا
يلفّ جداءلكِ الراحده

لأغسلَ رجلكِ يا طفلي
بماء يباعها البارده

سماويةً العين.. مُصطافتي
على كتفِ القرية الساجده

أُحِبُّكَ في لهو بيض الخرافِ
وفي مرج العنزة الصاعده

وفي رُمَر السَرَوِ والسنديانِ
وفي كلِّ صفصافةٍ مارده

وفي مقطعٍ من أغاني جبالي
تغنيهِ فلاحُهُ عائدُهُ

صديقةُ. إن العصافيرَ عادتُ
لتنقَرَ من جعبة الحاصدِ

أُحِبُّكَ أنقى من الثلج قلبًا
وأطهرَ من سُبْحَةِ العابدِ

حملتِ اندفاعَ هذا الصبيِّ
كما احتملتِ طفلها الوالدِ

أُحِبُّكَ.. زوبعةً من شبابٍ
بعشرينَ لا تعرفُ العاقبةَ

جموعُ السُّنُونُو على الأفقِ لاحتِ
فلوحي.. ولو مرةً واحدَ..

فَم

في وجهها يدور.. كالبرعمِ
بمثله الأحلام لم تحلمِ

كلوحةٍ ناجحةٍ.. لوئها
أثارَ حتى حائطَ المرسمِ

كفكرةٍ.. جناحها أحمرُ
كجملةٍ قيلت ولم تُفهمِ

كنجمةٍ قد ضيّعت دربها
في خُصلاتِ الأسودِ المُعتمِ

زجاجةٌ للطيبِ مختومةٌ
ليت أواني الطيبِ لم تُختمِ

من أين يا ربّي عصرتَ الجنى؟
وكيفَ فكّرتَ بهذا الفمِ

وكيفَ بالغتَ بتدويره؟
وكيفَ ورّعتَ نقاطَ الدمِ؟

وكيفَ بالتوليبِ سورتهُ
بالوردِ، بالعنّابِ، بالعندمِ؟

وكيفَ ركّزتَ إلى جنبه
غمّازةً.. تهزأ بالأنجمِ..

كم سنة.. ضيّعت في نَحْتِه؟
قُلْ لي. ألم تتعب.. ألم تسأم؟

مُنْضَمَّة الشفاه.. لا تُفصحي
أريدُ أن أبقى بوهم الفم..

أحبك

أَحْبُكَ.. لا أدري حدودَ محبَّتي
طباعي أعاصيرُ.. وعاطفتي سَيْلُ

وأعرفُ أَنِّي مُنْعِبٌ يا صديقتي
وأعرفُ أَنِّي أهْوَجُ.. أَنَّنِي طفْلُ

أُحِبُّ بأعصابي، أُحِبُّ بريشتي
أُحِبُّ بكَلِّي.. لا اعتدالُ، ولا عقلُ.

أنا الحبُّ عندي جِدَّةٌ وتطرَّفُ
وتكسيِّرُ أبعادٍ.. ونازِلها أَكْلُ

وتحطيمُ أسوارِ الثواني بلمحةٍ
وَقَنُحُ سماءٍ كُلُّها أَعْيُنُ شُهْلُ

وتخطيطُ أَكْوانٍ، وتعميرُ أنجمٍ
ورسمُ زمانٍ.. ماله.. مالهُ شكلُ

أنا ما أَنَا.. فلتقبليني مغامرًا
تجارتهُ الأشباحُ، والوهمُ، والليلُ

أَحْبُكَ تعتزِّينَ في خمسَ عشرةِ
ونهدُكِ في خيرٍ.. وخصركِ مُعْتَلُّ

وصدركِ مملوءٌ بألفِ هديَّةٍ
وثغركِ دَفَاقُ الينابيعِ مبتلُ

تعيشين بي كالعطر يحيا بوردة
وكالخمير في جوف الخوابي لها فعلٌ..

وقَبْلَكَ لم أوجدُ فلما مررت بي
تساءلتُ في نفسي: تُرى كنتُ من قَبْلُ

بعينيكِ.. قد خبأتُ أحلى قصائدي
إذا كان لي فَضْلُ الغنى.. فلكِ القَصْلُ

مُسافِرة

جنُّها نازفَ الجراح، فقالت
شاعرَ الحبِّ والأناشيدِ ما بكُ؟

ذاك منديلي الصغير.. فكفِّفْ
قطراتِ الأسى على أهدابكُ

تمَّ على زندي الرحيم.. وأشفقْ
يا رفيقَ الصبا على أعصابكُ

إرفعِ الرأسَ، والتفتْ لي قليلاً
يا صغيري، أكأبَّتني باكتئابكُ

ممكناً أن نظلَّ بعدُ صديقين
تفاءل.. ألم تزلْ في ارتيابكُ؟

ما تقولين؟ كيفَ أحملُ جرحي
بيمينتي.. كيفَ احتمالُ اغترابكُ؟

أينَ تمضينَ؟ كيفَ تمضينَ؟ رُدِّي
وأغانيَّ ضارعاتُ ببابكُ

وببיתי من ضوءِ عينيكِ ضوءُ
وبقايا من رائعاتِ ثيابكُ

أنتِ لي رحمةٌ من الله بيضاءُ
أحسنُ السلامِ في أعتابكُ

أَنْتِ كَوْخُ الْأَحْلَامِ آوِي إِلَيْهِ
أَشْرَبُ الصَّمْتِ فِي حِمَى أَعْشَابِكُ

أَنْتِ شَطٌّ أَغْفَتْ عَلَيْهِ الْهَنَاءُ
وَقَلْعِي حِيرَانُ فَوْقَ عُبَابِكُ

أَنْتِ حَانُوثُ خَمْرَتِي إِنْ طَغَى الدَّهْرُ
وَجَدْتُ السَّلْوَانَ فِي أَكْوَابِكُ

أَنْتِ كَرْمِي الدَّفِيقُ.. لَوْ يُعْبَدُ الْكَرْمُ
عَبَدْتُ النِّيرَانَ فِي أَعْنَابِكُ

مَسَحَتْ جَبْهَتِي.. بِأَنْمُلِهَا الْخُمْسِ
وَفَكَّتْ لِي شَعْرِي الْمَتَشَابِكُ

يَا صَدِيقِي وَشَاعِرِي.. لَا تُمَكِّنْ
قَبْضَةَ الْيَأْسِ مِنْ طَمُوحِ شَبَابِكُ

أَنْتِ لِلْفَنِّ قَدْ خُلِقْتَ وَلِلشَّعْرِ
سَيِّهْدِي الدُّنْيَا بَرِيقُ شَهَابِكُ

أَنَا دَعْنِي أَسِيرُ.. هَذَا طَرِيقِي
وَامْشِي يَا شَاعِرِي إِلَى مَحْرَابِكُ

مَا خُلِقْنَا لِبَعْضِنَا.. يَا حَبِيبِي
فَابْقِي لِلْفَنِّ.. لِلْغِنَا.. لِكِتَابِكُ

الْقُرْطُ الطَّوِيلُ

جارانِ للسالفِ.. مَنْ ذا رأى
على بساطٍ.. رُزمتي جَوْهَرِ

قد فُكَّتَا.. فانفرطتْ أنجُمُ
على طريقِ مُعشِبٍ.. مُرْهِرٍ..

حَبْلا بريقٍ.. رافقا جيدها
واستأنسا بالهُدْبِ والمِخْجَرِ

وَشَوْشَةُ الْبَحْرَاتِ.. مسموعةُ
من مقعدي، وضجَّةُ الأنْهَرِ

يا طيبَ شلالَيْنِ من فصَّةِ
سالا على مقالعِ المرمَرِ

كم غَلَّعَا خلف ذؤاباتِها
وخوَّضا في المسكِ والعنبرِ..

ما تَعَبَا رقصًا على جيدها
ولا انتهى الهمْسُ مع المنزِرِ

أرجوحةُ من قَلَقِي خيطُها
من تَرَقَّى المدوِّرِ الأسْمَرِ..

أسلاكُها تمضي على كيفها
تمضي.. وتمضي.. في مدى مُقْمَرِ

تَحْطُّ إِن شَاءَتْ عَلَى شَعْرَهَا
أَوْ.. لَا.. ففوق البؤبؤِ الأخضرِ.

يَرُدُّنِي الْقِرْطُ كَأَنِّي بِهِ..
يَخَافُ أَنْ أَعْلَقَ بِالْأَحْمَرِ

رَغْمَ امْتِنَاعِ الْقِرْطِ.. أَجْتَاخُهُ
أَشْرَسَ مِنْ عَصْفُورَةِ الْبَيْدَرِ..

رافعة النهد

تَرْلُقُ فَوْقَ رَبُّوتَيَّ لَذَّةٍ
نَاعِمَةٌ.. دَارَتْ عَلَى نَاعِمٍ

خَمَرِيَّةٌ كَلَوْنٍ عَاطِفَتِي
وَاهِمَةٌ مِثْلُ عَدِي الْوَاهِمِ

تَنْشَقُّ مِنْ مِزْرَعَتِي رَنْبَقٍ
رَزَّرتَا.. لِلْمَوْسِمِ الْقَادِمِ

تُؤْوِيهِمَا.. تَحْمِيهِمَا مِنْ أَدَى
مِنْ الْهَوَى.. مِنْ الشِّتَا الْهَاجِمِ

وَتَغْزِلُ الْعَرْلَ لَكِي يَدْفَأَ
كِي يَهْنَأُ.. فِي الْمَخْبَأِ الْحَالِمِ

وَتُطْعِمُ الْإِشْتَيْنِ.. مِنْ قَلْبِهَا
مِنْ لَحْمِهَا.. مِنْ حَيْطِهَا الْفَاغِمِ

تَدَاعَبُ الْوَاحِدَ.. إِمَّا صَحَا
وَتُسْدِلُ السِّتْرَ عَلَى النَّائِمِ

رافعة التَّهْدِ.. أَحِيطِي بِهِ
كُونِي لَهُ أَحْتَى مِنَ الْخَاتَمِ

قَدْ يَجْرُحُ الدُّثَيْلُ إِحْسَاسَهُ
فَحَقِّقِي مِنْ قَيْدِكَ الظَّالِمِ..

هَذَا الَّذِي بِالْغَتِ فِي صَمِّهِ
أَثْمُنُ مَا أُخْرِجَ لِلْعَالَمِ..

نهداك

سمراء.. صُبِّي نهدكِ الأسمرَ في دنيا فمي
نهداكِ تَبْعاً لِدَّةِ حمراءِ تُشعلُ لي دمي
متمردانِ على السماءِ.. على القميصِ المُنعمِ
صنمانِ عاجيَّانِ.. قد ماجا ببحرٍ مُضرمِ
صنمانِ.. إني أعبد الأصنامَ رغمَ تأثمي

•

فُكِّي الغلالة.. واحسري عن نهدكِ المتضرمِ
لا تكبتي النارَ الحبيسةَ وارتعاشَ الأعظمِ
نازِ الهوى في حَلْمَتَيْكِ أكلةً كجهنمِ
خمرِيتانِ.. احمرَّتتا بلظى الدمِ المتهجِّمِ..
محروقتانِ بشهوةٍ تبكي وصبرٍ مُلجَمِ

•

نهداكِ وحشيَّانِ.. والمصباحُ مشدوهُ الفمِ
والضوءُ منعكسٌ على مجرى الحليبِ المُعْتِمِ
وأنا أمدُّ يدي وأسرُقُ من حقولِ الأنجمِ
والحَلْمَةُ الحمقاءُ ترصدني بظفرٍ مجرمِ

وتغطَّ إصبعَهَا وتغمسها بحبرٍ من دمي

•

يا صَلْبَةَ النهدين.. يَأْبَى الوَهْمُ أَنْ تتوهَّمي
نهداكِ.. أَجْمَلُ لَوْحَتَيْنِ على جدار المرسمِ
كُرتان من ثلج الشمال.. من الصباح الأكرمِ
فتقدِّمي، يا قُطَّتِي الصغرى، إِلَيَّ تقدِّمي..
وتحرّري ممَّا عليكِ وحطّمي.. وتحطّمي..

•

مغرورة النهدين.. خَلِّي كبرياءكِ وانعمي
بأصابعي.. بزاويتي.. برعوتتي.. بتهجّمي
فغدًا شبابُكِ ينطفئ مثل الشعاع المضرمِ
وغدًا سيدوي النهْدُ والشفتان منكِ.. فأقدمي
وتفكّري بمصير نهدكِ بعد موت الموسمِ

•

لا تفزعني.. فاللثمُ للشعراء غير محرّمِ
فُكِّى أسيري صدركِ الطفّلين.. لا.. لا تظلمي
نهداكِ ما خُلِقا للثم الثوب.. لكن.. للفمِ
مجنونهُ مَنْ تحجب النهدين أو هي تحتمي
مجنونهُ مَنْ مرَّ عهدُ شبابها لم تُلثَمِ..

•

.. وجذبتُ منها الجسمَ لم تنفُر.. ولم تتكلَّمِ
مخمورةً مالتُ عليَّ بقدّها المتهدِّمِ
ومضت تعلِّلني بهذا الطافرِ المتكوِّمِ
وتقولُ في سُكْرِ، معرِبةً، بأرشق مبسمِ
"يا شاعري.. لم ألقَ في العشرينَ مَنْ لم يُقْطَمِ."

أفيقي..

أفريقي.. من الليلة الشاعِلَة
ورُدِّي عباءَتكِ المائِلَة

أفريقي.. فإنَّ الصبَّاحَ المُطِلَّ
سيفضُحُ شَهْوَتِكَ السافِلَة

مُغامِرَة التَّهْدِ.. رُدِّي الغطاءَ
على الصدرِ والحَلْمَة الاكِلة

وأينَ ثيابُكِ بَعَثَتْهَا
لَدَى سَاعَةِ اللَذَّةِ الهائِلَة

كفاكِ فحيحًا بَصْدِرِ السَّرِيرِ
كما تنفُحُ الحَيَّةُ الصائِلَة

أفريقي فقد مرَّ ليلُ الجُنُونِ
وأقبلتِ الساعَةُ العاقِلَة

هو الطينُ.. ليس لطينٍ بقاءُ
ولذائهُ وَمُضُهُ زائِلَة..

لقد عَمَرَ الفَجْرُ نَهْدِيكَ ضوَاءَ
فَعُودِي إلى أُمَّكِ الغافِلَة

ستمضي الشهورُ.. وينمو الجنينُ
ويفضُحُ الطِفْلُ والقابِلَة..

إلى عَجُوز

عبثًا جهودُكِ.. بي الغريزة مُطفأه
إني شبعْتُكِ جيفةً متقيئةً

مهما كتمتِ.. في عيونك رغبة
تدعو.. وفي شفتيكِ تحترقُ امرأة

إني قرفُتُكِ ناهدًا متدلِّيًا
وقرفُتُ تلكَ الحلمةَ المتهرئةَ

أنا لا تحرّكني العجائزُ.. فارجعي
لكِ أربعون.. وأيِّ ذكرى سيئة

أختَ الأزقةِ.. والمضاجعِ.. والغوى
والغرفةِ المشبوهةِ المتلألئة..

شفتكِ عنقودا دمٍ وحرارةٍ
شفةً أقبلُ أم أقبلُ مدفأة؟

والإبطُ.. أيُّه حفرةٍ ملعونةٍ
الدودُ يملأُ قعرها والأوبئة..

صيرتِ للزوّارِ ثديكِ موردًا
إمّا ارتوتُ فئه عَصرتِ إلى فئه

فبكلِّ ثغرٍ من حليبكِ قطرة
وقرابةٍ في كلِّ عرقٍ.. أو رئة

إلى زائرة

حسبي بهذا النفخ والهَمْهَمْه
يا رِعْشَةَ الثعبان.. يا مجرْمَه

زلقت من أهلك لم تستحي
زحفاً إلى غرفتي الملهَمْه..

مفكوكة الأزرار عن جائع
يصبو إلى النجم لكي يقضمَه

وشعرك المسفوح.. حُصْلَاثُه
مهملة، لا تعرف اللَمْله

أفي قميص النوم، يا ذئبتي
تائهة كالفكرة المبهَمْه

ونهدك الملتف في ريشه
كأرنبٍ إليّ يُدني قَمَه

كالأرنب الأبيض في وَثْبِه
الله.. كم حاولت أن أرسَمَه

هذا الذي يطفر في مخدعي
هل ظلّ شيءٌ بعدُ ما حطَّمَه؟

آمنتُ باللذاتِ مسلولةً
تفور من مقلتكِ المضْرَمَه

وكم لدى المرأة من مطلبٍ
في جوع عينيها له ترجمه

شهية العطر. أنا مارِدُ
فحاذري أن تكسري قُمقمه

ما أنتِ؟ ما نهذاكِ؟ إن قهقهتِ
عواصفي، وشهوتي المُلجَمه

لا يعرفُ الطوفانُ في جرفه
ما حلَّلَ الله.. وما حرَّمه..

مُدَنَسَةُ الحَلِيبِ

أطعميه.. من ناهديك أطعميه
واسكبي أعكر الحليب بفيه

إتقي الله.. في رخامٍ معرّى
خشبُ المهد كاد أن يشتفيه

تَشِفْتُ فورهُ الحليب بشديك..
طعامًا لزائرٍ مشبوهِ..

زوجك الطيّب البسيط.. بعيدُ
عنك، يا عِرْصَهُ وأُمّ بنيه

ساذجُ، أبيضُ السريرة، أعطاك
سوادَ العينين كي تشربه..

يتركُ الدارَ خالي الظنّ.. ماذا؟
أيشكُّ الإنسانُ في أهليه؟

أو آذاك يا لئيمهُ.. حتّى
في قداسات نسله تؤذيه؟

كم غريبٍ أدخلتِ للمخدع الزوجيّ
يأبى الحياءُ أن تدخله

إستغلي غيابهُ.. رُبَّ بيتٍ
هدَمْتُهُ تلك المقيمة فيه

والرضيعُ الزَّحَّافُ في الأرضِ يسعى
كلُّ أمرٍ من حوله لا يعيه

أُمُّهُ في ذراعِ هذا المسجَّى
إن بكى الدهر سوف لا تأتيه

أبو الطفل ذلك الزائرُ الفطُّ
العميقُ العاهاتِ والتشويهِ..

أَبُوهُ هذا.. ويا ربِّ مولودٍ
أبوهُ الضجيعُ.. غيرُ أبيه..

إنَّ هذا الغداءَ يفرزه ثدياكِ
مُلْكُ الصغير.. لا تسرقيه

إن سقيتِ الزَّوَّارَ منه فَقَدْ مَّا
لعقَ الهُرُّ من دماءِ بنيهِ..

البَغِيّ

عَلَّقْتُ فِي بَابِهَا قَنَدِيلَهَا
نَازَفَ الشَّرِيَّانِ، مَحْمَرَّ الْفَتِيلَةِ

فِي زَقَاقٍ ضَوَّاتٍ أَوْكَازُهُ
كُلَّ بَيْتٍ فِيهِ.. مَأْسَاةٌ طَوِيلَةٌ

عُرِفُ.. ضَيِّقُهُ.. مَوْبِوءُهُ
وَعَنَاوِينُ (لِمَارِي) وَ(جَمِيلَةٌ) وَبِمَقْهَى الْحَيِّ.. حَالِ هَرِمٍ
رَاحَ يَجْتَرُّ أَغَانِيَهُ الذَّلِيلَةَ

وَعَجُوزٌ خَلْفَ نَرَجِيلَتِهَا
عَمَرُهَا أَقْدَمُ مِنْ عَمْرِ الرَّذِيلَةِ

إِنَّهَا أَمْرَةُ الْبَيْتِ هُنَا..
تَشْتَمُ الْكَسْلَى.. وَتَسْتَرْضِي الْعَجُولَةَ

وَأَمَامَ الْبَابِ صَعْلُوكُ هَوَى
تَافَهُ الْهَيْئَةُ.. مَسْلُوبُ الْفَضِيلَةِ

يَعْرِضُ اللَّحْمَ عَلَى قَاضِمِهِ..
مِثْلَمَا يَعْرِضُ سَمْسَارُ خِيُولِهِ

"هَذِهِ.. جَاءَتْ حَدِيثًا سَيِّدِي..
نَاهِدُ مَا زَالَ فِي طُورِ الطُّفُولَةِ"

"أَوْ إِذَا شِئْتَ.. فِرَافِقُ هَذِهِ..

إنَّها أشهى من الخمر الأصيلة.."

أيُّ رقٍّ.. مثل أنثى ترتمي
تحت شاريها بأوراقٍ ضئيلة

قيمة الإنسان ما أحقرها
زعموه غايةً.. وهو وسيلة

•

لو ترى الردهة فيها اضطجعت
كلُّ بنتٍ كانفتاح الرَّهَرَه

نهْذُها منتظرُ جَزَّارِه
صابرٌ حتَّى يلاقي قَدَرَه

هذه المَذْهَبَةُ السِّينِ.. هُنا
ترقب البابَ بعينٍ حذَرَه

حسرتُ عن ركبةٍ شاحبةٍ
لوئُها لونُ الحياة المنكَرَه..

مَنْ سيأتي؟ من سيأتي معها..؟
أيُّ صعلوكٍ حقيرٍ تَكِرَه؟

وهناكَ انفردتُ واحدهُ
عطرُها أرخصُ من أن أذكرَه

حاجبٌ بُولَعٍ في تخطيطه
وطلاءُ كجدار المقبرَه..

وفمٌ مَتَّسَعٌ.. مَتَّسَعٌ
كغلافِ التينة المَعْتَصِرَه..

الْفُضُولِيُّونَ.. من خلفِ الكُوى
أعينٌ، جائعةٌ، مستعِرَه

وشجارٌ دائرٌ في منزلٍ
وسكارى.. ونكاتٌ قذرة

من رآهنَّ قواريرَ الهوى
كنعاجٍ بانتظارِ المجزرة

كم صبايا مثلَ ألوانِ الضحى
أفسدتهنَّ عجوُزٌ حطَّره

•

هذه المجدورة الوجه انزو
كوباء.. كبعير تين

أخرجت ساقاً لها معروقة
مثل مَيِّتٍ خارجٍ من كَفَنٍ

حُقِرَ في وجهها مُرْعِبُهُ
تركَّتها عَجَلَاتُ الرَّمَنِ..

نهَّذا حَبَّةُ تِينٍ نشفت
رحمَ اللهَ زمانَ اللَّيْنِ

فالعصافيرُ التي كانتُ هُنا..
تتغذى بالشذا والسوسنِ

كلُّها طارَتْ بعيداً عندما
لم يُعَدْ في الأرضِ غيرُ الدِّمَنِ..

إنَّها الخمسونَ.. ماذا بعدَها؟
غيرُ أمطارِ الشتاءِ المحزنِ

إنَّها الخمسونَ.. ماذا ظلَّ لي
غيرُ هذا الوحلِ.. هذا العَفَنِ

غيرُ هذي الكأسِ أستهلكُها
غيرُ هذا التبغِ يستهلكُنِي

غير تاريخٍ مُدَمَّى حيثُما
سرتُ.. ألقى ظلّه يتبعني

غيرُ أقدام الخطايا.. رجعتُ
تُحرقُ الغرفةَ لي.. تُحرقني..

غيرُ ربِّ كنتُ لا أعرفُه
وأراه الآنَ لا يعرفني..

•

يا لصوصَ اللحم.. يا تُجَارُهُ

هكذا لحم السبايا يُؤكلُ

منذ أن كان على الأرض الهوى
أنتم الذئب.. ونحن الحملُ

نحن آلاتُ هوى مُجَهَّدةُ
تفعلُ الحبَّ.. ولا تنفعُ

أنبشوا في جثثٍ فاسدةٍ
سارقُ الأكفانِ لا يختجلُ..

وارقصوا فوق نهودٍ صُلبتْ
ماتَ فيها النورُ.. ماتَ المهملُ

مَنْ أنا؟ إحدى خطاياكم أنا
نعجةٌ في دَمَكُم تغتسلُ

أشتهي الأسرةَ والطفلَ وأن
يحتويني مثلَ غيري.. منزلُ

أرجموني.. سدّوا أحجاركم
كلُّكم يومَ سقوطي.. بطلُ

يا قُضاتي.. يا رُماتي.. إنَّكم
إنَّكم أجبنُ من أن تعدلوا..

لن تخيفوني. ففي شرِّعتكم

يُنْصَرُ الْبَاغِي.. وَيُزَمَّى الْأَعَزُّ

تُسَالُ الْأُنْثَى إِذَا تَزَنَّى.. وَكَمْ
مَجْرِمٍ دَامِيَ الزَّانَا.. لَا يُسَالُ

وَسَرِيرٌ وَاحِدٌ.. ضَمَّهْمَا
تَسْقُطُ الْبِنْتُ.. وَيُحْمَى الرَّجُلُ